جامع قمرية

Nouvelles lumières sur la Mosquée Qamryeh

استدراك

كنت ظننت في (ص ٢٣٠ من هذه المجلة) ان في النقص الذي طرأ على كتاب الحوادث الجامعة بحثا يمرفنا بما نتطلبه من امر جامع قمرية . وقلت ان باني هذا الجامع هو الخليفة الناصر . وكان قولي هذا لسببين اولهما ان من صلى في هذا الجامع اماما بالناس حين فتحه كان مجد الدين عبدالصمد واذ كانت ولادته في سنة ٥٩٣ هـ (١١٩٦ م) على ما كنا رأينا كان من مواليد زمن الناصر فلا يمكن ان يكون الجامع من بناء من تقدمه من الخلفاء او غيرهم . وثاني السببين ان كتاب الحوادث المنوه به — والمحفوظة نسخته بحالها الحاضرة ينتهي من قسم من سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٨ م) كما كنت قد اشرت اليه — لا يذكر بناء جامع قمرية فارتأيت ان تشييده كان قبل ذلك ولا سيما كتاب المساجد ذكر لنا نقلا عن بعض المؤرخين — ولم يسمهم — ان هذا الجامع من ابنية الناصر فقلت قول كتاب المساجد مؤيد اياه .

وكل ما كنت نقلته في كتابتي من الحوادث الجامعة — عن الجامع الذي نحن بصدده — منقول من نسختي المكتوبة على النسخة المخطوطة العائدة الى صاحب هذه المجلة وهي منقولة عن كلام الوحيدة وقد عرفتها في ما سبق . ولم اكن أدري ان النسخة المصورة لهذا المخطوط المحفوظة في دار الكتب العائدة الى وزارة الاوقاف (١) تحل لنا المشكل اذ تطالعنا على تكامل بناء الجامع في سنة ٦٢٦ هـ وهي من سني خلافة المستنصر . والذي اوقفني على ذلك كلمتان — بقلم لا يختلف عن قلم الكتاب — وردتا في حاشية النسخة المصورة دون المخطوطة وقد اغفلهما الكاتب . قالت النسخة المخطوطة :

« وفي شعبان (٦٢٦ — ١٢٢٨) تكامل بناء المسجد المستجد بالجانب الغربي على شاطىء دجلة المقابل لرباط البسطامي (٢) ونقل اليه الفرش والآلات وقناديل

١) هي هدية ايضا من مالك النسخة الام سعادة احمد تيمور باشا .

٢) رباط البسطامي من الآثار المندرسة ولولا اطلاعنا على ما يجيء ذكره ان المسجد

الذهب والفضة والشموع وغير ذلك وفتح في شهر رمضان ورتب فيه مصليا الشيخ عبدالصمد بن احمد بن ابي الجيش واثبت فيه ثلثون صبيا يتلقنون القرآن عليه . ورتب فيه مبيد يحفظهم التلاقين ورتب ايضا فيه الشيخ حسن بن الزبيدي محدثا يقرئ (كذا) عليه الحديث النبوي في كل يوم اثنين وخميس . ورتب ايضا قارئ للحديث . وجعل في المسجد خزانة للكتب وحمل اليها كتب كثيرة » . اه

فلم يكن بوسعي ان اتكهن بان هذا المسجد هو جامع قمرية ولكني لما وقفت على النسخة المصورة رأيت فيها اشارة بعد كلمة « البسطامي » تهدي الى الحاشية وفي الحاشية ما يأتي :

« المعروف بقمرية » فلم يبق لي شك في ان جامع قمرية تكامل بناؤه في سنة ٦٢٦ هـ وكانت تلك السنة في خلافة المستنصر التي بدأت في سنة ٦٢٣ (١٢٢٦).

وجاء في الحاشية قوله : « حاشية . حكي انه قيل للشيخ عبدالصمد ان هذا الموضع رسم ان يكون امامه شافعيا . . . (هنا كلمات لم استطع قراءتها) الانتقال عن مذهب الامام احمد . فقال : ما وجدت في مذهبي ما يوجب انتقالي عنه . فانهي ذلك الى الخليفة فقال : نحن نغير . . . كذلك كلمات لم استطع قراءتها » اه .

وقد جاء في كاشف خلفاء في اخبار والي بغداد ابراهيم باشا انه جدد في سنة ١٠٩٣ (١٦٨٢) عمارة الجامع المقابل لدار الامارة [هي ما نعرفه اليوم بالسراي] وان يحيى ددة شيخ الدراويش المولوية ارخ البناء ببيت من الشعر بالتركية ذكره . قلت ولعل هذا الجامع هو جامع قمرية ايضا .

وبعد هذا كله اقول من هي قمرية ؟ أ امرأة كما قال كتاب المساجد ام غير ذلك ؟ والاسم جديد نسب اليه الجامع حين انشائه ام اسم قديم للموضع الذي بني عليه ؟ هذا ما تساءلت عنه قبلا واكرر السؤال عنه اليوم .

يعقوب توما سركيس

المستجد هو جامع قرية ليقبنا نجهل موضع الرباط . وقد جاء عنه في ابن الاثير في حوادث سنة ٤٩٣ (١٠ : ١٤) ما يلي : وفيها توفي ابو الحسن البسطامي الصوفي ورباطه مشهور على دجلة غربي بغداد . بناه ابو الغنائم بن المهلبان . » اه